الإمام يوسف القرضاوي

الإسلام الذي ندعو إليه

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

محاضرات الدكتور يوسف القرضاوي
اسم الكتاب: الإسلام الذي ندعو إليه
الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
اسم المؤلف: الإمام يوسف القرضاوي
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٤٠ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع: ١٩٧٨/٢٠٠٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-225-182-5

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى. أو تحويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher And Auther.

دار الكتب والوثائق القومية
دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي، يوسف القرضاوي.
الإسلام الذي ندعو إليه / يوسف القرضاوي
القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٠
٤٠ صفحة؛ ١٤ سم
تدمك ٥ ١٨٢ ٢٢٥ ٩٧٧

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٨ شارع العباسية - القاهرة ت: ٢٤٨٢٧٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام الذي ندعو إليه(*)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات ، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات ، والصلاة والسلام على رحمة الله المهداة للعالمين ، وعلى أهله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، واهتدى بسنته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

أيها الإخوة والأخوات ، خير ما أحييكم به تحية الإسلام ، وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وشكر الله لكل من ساهم في إقامة هذا المركز وتشييد هذه القاعة والعمل على تجميع هذا الجمع الطيب على كلمة الله وعلى طاعته وعلى دعوته ، جزى الله أخانا الشيخ/ معجبًا ، وجزى إخوانه والعاملين من ورائه خيرًا على ما فعلوا ، ونكل جزاءهم الأوفى إلى الله تبارك وتعالى ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يشكر لكم حضوركم ، وأن يجعل هذه الليلة في ميزاننا يوم القيامة حسنات ودرجات عنده .

● لماذا اخترت هذا العنوان للمحاضرة؟ :

أيها الإخوة ، حديثنا الليلة تحت هذا العنوان (الإسلام الذي ندعو إليه) ، ولماذا اخترت هذا العنوان (الإسلام الذي ندعو إليه)؟

(*) ألقيت هذه المحاضرة في مركز الدعوة والإرشاد بالدوحة .

● الإسلام الذي يريده العلمانيون :

إن بين دعاة الإسلام ودعاة العلمانية واللادينية معركة حامية الوطيس في شتى البلاد الإسلامية ، وهذا للأسف كان نتيجة للغزو الاستعماري الذي سُلط على ديار المسلمين فترة من الزمن ، وحاول أن يقتلعها من جذورها ، ففرض عليها أنظمة وتشريعات وتقاليد وأفكارًا مستوردة دخيلة على هذه الأمة ، فلما حمل الاستعمار عصاه ورحل ترك وراءه من يسير على خطه ويقتفي خُطاه ، ترك تلاميذ وفروخًا من أبناء المسلمين أنفسهم ، ممن يحملون أسماء المسلمين ويعيشون في أرض المسلمين ، مسلمون بالوراثة ، ممن نسميهم « المسلمين الجغرافيين » أي الذين ولدوا وعاشوا في أرض المسلمين وإن كانت رءوسهم غير إسلامية .

هؤلاء يريدون أن يحيا المسلمون بغير الإسلام ، وإذا بقي لهم شيء من الإسلام ، فليكن الإسلام في ضمير الفرد فقط ، علاقة شخصية بين الإنسان وربه ، لا تتجاوز قفص الصدر ، فإن خرجت من الضمير والصدر ، فليكن حدودها المسجد لا تتجاوز المسجد ، حتى المسجد لا تترك فيه الحرية ؛ لتقال كلمة الحق ، وإنما هو مسجد موجَّه ، ومنبر موجَّه : ينبغي أن يكون تحت رقابة السلطة ، فليس إسلامًا حرًّا بل إسلامًا توجهه السلطة التنفيذية ، وتلونه كما تشاء . هؤلاء الذين نشأوا في ظل العهود

الاستعمارية ، وتربوا هذه التربية ينكرون على دعاة الإسلام أن يدعو إلى الإسلام شاملاً متكاملاً .

في وقت من الأوقات ، كانوا يهاجمون الإسلام علانية يقولون : لا نريد إسلامًا - كانوا يتبجحون بذلك - نريد أن نسير وراء الغرب شبرًا بشبر ، ذراعًا بذراع ، وأن نأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب . . . هكذا كان شعارهم في وقت من الأوقات . انهزموا الآن أمام التيار الإسلامي الهادر ، أمام هذا الجيش اللجب ، أمام هذه الموجة الإسلامية المكتسحة في كل مكان ، أمام الصحوة الإسلامية التي أصبح قوامها الشباب والشابات ، من المثقفين والمثقفات في أنحاء الديار الإسلامية ، لم يعودوا قادرين على أن يقولوا : نرفض الإسلام وتستروا بدعاوى زائفة ، ماذا يقولون اليوم؟ يقولون : أنتم تدعوننا إلى الإسلام ، ولكن ما هذا الإسلام الذي تدعوننا إليه؟ إن الإسلامات كثيرة!! وهذا أخذوه عن أساتذتهم المستشرقين والمبشرين ، الذين يزعمون أنه ليس هناك إسلام واحد ، وإنما هناك إسلامات متعددة ، تتعدد بتعدد المكان ، وتتعدد بتعدد الزمان ، وتتعدد بتعدد المذاهب ، هناك إسلام أسيوي ، وهناك إسلام إفريقي ، وإسلام عربي ، وإسلام هندي أو تركي . هناك إسلام أموي ،

وإسلام عباسي ، وإسلام عثماني . هناك إسلام صوفي ، وإسلام سلفي ، وإسلام سني ، وإسلام شيعي . . . إلى آخره .

هؤلاء أخذوا عن شيوخهم وموجهيهم والمخططين لهم من المستشرقين والمبشرين ، هذه الدعوى ، وقالوا : أي إسلام تدعوننا إليه؟ كما قال قائلهم من العلمانيين الذين عقدنا معهم ندوة تاريخية مشهودة في القاهرة في الصيف الماضي ، قالوا : أي إسلام تدعوننا إليه؟ إسلام السودان ، أم إسلام إيران ، أم إسلام باكستان ؟ وأحيانًا يضيفون الإسلام إلى الأشخاص . . . إسلام النميري . . . إسلام الخميني . . . إسلام ضياء الحق!! وأحيانًا يقولون : أهو إسلام رجال الدين أم إسلام العساكر أم إسلام الملوك . . ؟

كان جوابنا : إن الإسلام الذي ندعو إليه لا يرتبط ببلد ولا يرتبط بشخص ، ولا يرتبط بعهد ، ولا بجنس ، ولا بزمن ، ولا بمذهب ، إنما هو إسلام القرآن والسنة ، إسلام محمد ﷺ ، من أراد أن يعرف الإسلام الذي ندعو إليه ، فليفتح المصحف يعرف إلى أي شيء ندعو ، فليأت إلى صحيح السنة ، إلى الكتب الصحاح ، يعرف ما هو الإسلام الذي ندعو إليه .

هؤلاء يريدون أن يلزمونا بإسلام يفسرونه كما يشاءون ؛ ليتخذوا من وراء ذلك الحجة للطعن في هذا الإسلام ، قال بعضهم يومًا : أتريدون أن تعيدونا إلى عهد الحجاج الثقفي ؟ أتريدون أن

تعيدونا إلى عهد الأمير الذي قال : (من قال لى : اتق الله ضربت عنقه؟) أتريدون أن تعيدونا إلى كذا . . . ؟ يبحثون عن انحرافات التاريخ ؛ ليحملوا الإسلام أوزارها .

يا عجبًا!! لماذا تريدون أن تحملوا أوزار الحجاج الثقفي وأمثاله من الطغاة والمنحرفين على ظهر الإسلام؟؟ والعجب أننا حين نقول لهم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز إلى آخره . . يقولون : هذه فلتات لا تتكرر ، أي أن الانحرافات تحمل على الإسلام ، والاستقامة لا تحسب له ، أي منطق هذا !؟

يقولون : تريدون أن تعيدونا إلى عهد الأمير الذي قال : من قال لي : اتق الله ضربت عنقه . لماذا تذكرون هذا؟ ولا تقولون : إننا نريد أن نعود إلى عهد الأمير الذي قيل له : اتق الله ، فقال : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها؟ لماذا لا تقولون : إننا نريد أن نعود إلى عهد الأمير الذي قال : أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، إن أحسنت فأعينونى وإن عصيت فقوموني . (وهو أبو بكر) ، وكذلك الأمير الذي قال : من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني . (وهو ابن الخطاب) ، فلما قيل له : لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بحد سيوفنا ، قال : الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقوّم اعوجاج عمر بحد سيفه .

لماذا هؤلاء يريدون إسلامًا على هواهم ، على مزاجهم؟ لهذا نحن نريد أن نقول ما هو الإسلام الذي ندعو إليه؟

- **إسلامنا هو الإسلام الأول :**

الإسلام الذي ندعو إليه : إسلام واضح ، وضوح الشمس في رابعة النهار ، إسلام القرآن والسنة ، مصادره واضحة ، أصوله بينة ، هناك قطعيات ، وهناك ظنيات ، القطعيات هذه هي التي تمثل الأصول الأساسية لهذا الإسلام ، التي تجسد الوحدة الفكرية والشعورية والسلوكية لهذه الأمة ، في العقائد ، في العبادات ، في الأخلاقيات ، في الآداب ، في الشرائع العملية ، كل هذه الأمور القطعية تمثل الأسس والدعائم والمقومات ، وبعد ذلك هناك أمور ظنية ، هذه الأمور الظنية لم تترك سدى ، ولكن ضبطت بضوابط ، قُعِّدت لها القواعد ، وأصِّلت لها الأصول ، المسلمون ابتكروا علمًا لم تعرفه البشرية في أمة من أمم الحضارة ، مهمة هذا العلم أن يضبط الاستدلال فيما فيه نص وفيما لا نص فيه ، إنه علم (أصول الفقه) .

الأمر إذن ليس سائبًا ، إنه أمر محكم مضبوط ، الإسلام الذي ندعو إليه ، إسلام واضح المعالم ، بَيِّن الأسس ، بَيِّن الأهداف . نحن ندعو إلى (الإسلام الأول) قبل أن تضاف إليه الشوائب والبدع والمحدثات ، نريد الإسلام المنقى ، الإسلام المصفى ، كما

فهمه خير أجيال هذه الأمة ، الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، أفهم الناس لروح الإسلام ، ولمقاصد الإسلام ، نستهدي بفهم هؤلاء ، وما عدا ذلك فكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ .

نحن ندعو إلى إسلام يتجدد فيه الفهم والاجتهاد لمشكلات العصر ، لا ندعو إلى جمود ولا انغلاق ولا عصبية مذهبية ، نأخذ من كل المذاهب ، وليس هذا مقصوراً على المذاهب الأربعة ، بل هناك مذاهب الصحابة والتابعين ، عشرات الفقهاء ومئاتهم ، هؤلاء تركوا لنا ثروة خصبة وثرية ، نستطيع أن نغترف منها وننهل منها ؛ لنواجه حياتنا ونواجه التطور . الشريعة الإسلامية لا تضيق بواقعة من الوقائع ، الشريعة الإسلامية حكمت أممًا حضارية مختلفة ، خرجت من جزيرة العرب ، لتحكم بلادًا كان يحكمها الفرس والروم ، مدنيات قديمة ، مدنية الفرس ومدنية الروم البيزنطيين ، ومدنية الهند ، ومدنية الصين ، ومدنية الفراعنة في مصر . حكمت الشريعة الإسلامية هذه الديار كلها فلم تضق بجديد ، كان لها مع كل حادث حديث،ومع كل مشكلة علاج، ومع كل معضلة حل، هذه الشريعة موجودة والحمد لله .

إننا نستطيع أن نحل كل مشكلاتنا المعاصرة في ضوء اجتهاد إسلامي صحيح ، يسترشد بالأصول ، ويستهدي بتراث السابقين ، ويلتزم بالقرآن وصحيح السنة ، ولكنه أيضًا ينظر إلى العصر وتياراته ومشكلاته بالعين الأخرى .

● إسلام بلا زيادات ولا شوائب :

الإسلام الذي ندعو إليه هو هذا الإسلام النقى المصفى : بلا زيادة عليه ، ولا انتقاص منه ، ولا تشويه له ، ولا إخلال بنسبه ، بهذه الضوابط الأربع .

أقول : بلا زيادة عليه : الإسلام كامل ، والكامل لا يقبل الزيادة ، منذ قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣) لا يستطيع أحد أن يزيد في هذا الإسلام شيئًا ، لا في عقائده ، ولا في عباداته ، ولا في تشريعاته ، ولا في أصوله ، إذا كانت هناك أديان أخرى قبلت الزيادة ؛ لأنها حرفت وبدلت ، وأعطت الخلق حق التشريع ، وحق التحليل والتحريم ، فما حلوه في الأرض فهو محلول في السماء وما عقدوه في الأرض فهو معقود في السماء ، الإسلام رفض هذا ، ودمغ هؤلاء بالشرك : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٣١). ولما سأل عدي ابن حاتم وكان قد تنصر في الجاهلية قال : يا رسول الله ، ما كنا نعبدهم؟ قال :« ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلوه ، ويحرمون عليكم الحلال فتحرموه»؟ قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم إياهم» . الإسلام رفض هذا ، ولم يعط أحدًا ـ لا مجمعًا ولا مؤتمرًا ولا خليفة ولا هيئة كبار علماء ، ولا أحدًا أيًّا كان ـ أن يزيد في هذا الإسلام شيئًا أو ينتقص منه شيئًا .

هنـاك ديانـة كالديانـة المسـيحية عـرف تاريخهـا مـا سمـي (المجامع المقدسة) عندهم ، هـذه المجـامع أضـافت إلى العقائـد وعدلت وغيرت ، في كل مدة يضـيفون إلى العقائـد مـا يشـاءون ، مرة اعتبروا المسيح ابن الله ، ومرة اعتبروه مجسد الألوهيـة ، ومـرة أضافوا (الروح القدس)، ومرة أَلَّهوا مريم العذراء ، ومرة كذا . . . ومرة كذا . . . إذا اتخذ المجمع المقدس قراراً ، يصبح هـذا القـرار جزءاً من الدين وجزءاً من العقيدة .

في الإسلام لا يملك أحد إضافة شيء إلى هذا الدين ، « إيـاكم ومحدثات الأمور ، فإن كـل محدثـة بدعـة ، وكـل بدعـة ضـلالة ». « من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد». أي مردود عليـه ، هـو باطل مردود عليه كما ترد العملة الزائفة .

ولهذا كل ما أضيف إلى الإسلام على توالي العصـور مـن بـدع ومحدثات ، كل هذا باطل مردود ، غير مقبول في الإسلام ، ويبقى الإسلام نقيًّا ، ومن فضل الله أنه لم يخـل عصـر مـن العصـور ، إلا وقام فيه علماء يردون الأمـة إلـى الصـراط المستقيـم ، وينكـرون البدع والمحدثات في الدين : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨١).

● إسلام لا ينتقص منه :

كما ندعو إلى الإسلام بلا زيادة عليه ، ندعو إليـه بغـير انتقـاص منـه كذلك ، وهذا هو الضـابط الثـاني ، لا نزيـد علـى الإسـلام ، ولا ننتقص من الإسلام .

كان هناك في العصور الماضية تيار الزيادة على الإسلام ، تيار الابتداع ؛ لأن الابتداع عادة يكون من زيادة التقرب ، والرغبة في التقرب إلى الله مع الجهل بحقيقة الدين .

وفى عصرنا الآن محاولات الانتقاص من الإسلام ، يرون أن يخرج من الإسلام ما هو من صلبه ، ما هو من مقوماته . فهناك من يريد الإسلام عقيدة بلا عبادة ، فما دمت أنت مؤمنًا بالله يكفيك هذا عن أي عمل . أو يريده عبادة بلا أخلاق ، أو يريده أخلاقًا بلا تعبد يقولون : بحسبك أن تكون رجلاً صادقًا تتعامل مع الناس بالعدل وبالصدق وبالحسنى ، وليس مهمًا أنك تصلي أو تصوم ، نظف قلبك ويكفيك هذا .

وهناك من يأخذ جزءًا من القرآن ويترك جزءًا آخر ، يتعبد (بآية الكرسي) ويقرؤها عند النوم ، ومع هذا يتعامل بالربا أو يتعامل مع البنوك الربوية . يا هذا الذي يتبرك بآية الكرسى ، اقلب الورقة ، تجد في الورقة التي بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:٢٧٨).

مشكلة كثير من المسلمين اليوم : أنهم جزّءوا الإسلام ، جعلوه لحمًا على وَضَم ، وأمسكوا بسكين التقطيع ؛ ليقطّعوا الإسلام إرْبًا إربًا .

جماعة يريدون الإسلام زواجًا بلا طلاق ، يريدون أن يحذفوا الطلاق أو تعدد الزوجات من الشرع الإسلامي وقوانين الأسرة الإسلامية ، أي يريدون الإسلام نصرانية أخرى ، وبعضهم يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد ، الإسلام دعوة إلى السلام ، والجهاد هذا يراد حذفه ، حتى قامت نِحْلة أو نبوة زائفة كاذبة في بلاد الهند ، قام بها رجل كان صنيعة استعمارية للإنجليز اسمه (غلام أحمد القادياني) مهمة هذه النحلة ، أو أهم ما جاءت به هذه النحلة ، أمران : الأمر الأول : إبطال الجهاد ، والأمر الثاني : الطاعة لأولي الأمر ، ولو كانوا كفارًا ، وهذا طبعًا لا يخدم إلا الإنجليز المستعمرين في ذلك الوقت ، إذن أوجبت الطاعة للحكومة القائمة ولو كانت كافرة ، وأبطلت الجهاد ، أي أبطلت المقاومة ، فأي خدمة عظيمة نقدم للاستعمار أكثر من هذا؟

هناك من يريدون الإسلام سلامًا بلا جهاد ، من يريدون الإسلام عقيدة وعبادة بلا تشريع . وهذه دعوة العلمانيين عمومًا ، يريدون إخماد الشريعة الإسلامية ، وليس هناك مانع أن تصلي أو تصوم الآن ، فالعبادات الشخصية لا مانع أن نقوم بها ، أما أن يحكم الإسلام الحياة ، أما أن يضبط مسيرة المجتمع ، أما أن يحتكم الناس إلى شرع الله ، فهذا أمر مرفوض . ولا أدري كيف يمكن أن يأخذ الإنسان بجزء من الإسلام ويرفض الجزء الآخر؟

إذا قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة:١٨٣) . يقول : أنا آخذ بهذه الآية . وإذا قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ (البقرة:١٧٨) ـ قبلها بآيات ـ يقول : لا ، عملية القصاص والحكم بالإعدام هذا أمر مدني لا أمر ديني . فقل لي بربك أيها المسلم كيف أطعت آية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ وخالفت آية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ أو خالفت آية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة:٢١٦)؟

هذا أمر مرفوض إسلاميًا ، فإنما هؤلاء يقولون : (نأخذ ببعض الكتاب) وندع البعض الآخر كما صنع بنو إسرائيل الذين قرعهم الله تعالى أشد التقريع حينما قال : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة:٨٥).

● **الإسلام كل لا يتجزأ :**

يرفض الإسلام التجزئة ؛ لأنه يطلب منا أن ندخل في السلم كافة ، لقد أراد بعض اليهود أن يدخلوا في الإسلام ويستمسكوا ببعض تعاليمهم القديمة ، مثل تعظيم يوم السبت . وقد رفض القرآن هذا وقال لا بد أن تأخذوا شرائع الإسلام جملة واحدة وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ (البقرة:٢٠٨) . أي في شرائع الإسلام كافة ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ (البقرة:٢٠٨). وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَأَنِ

﴿ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (المائدة:٤٩) . فالإسلام لا يقبل أنك تقول : نأخذ ٥٠٪ ونترك الباقي ، يعني نأخذ النهاية الصغرى؟ هذا هو الإسلام؟ الإسلام وصفة متكاملة كما إذا وصف الطبيب للإنسان وصفة متكاملة ، قال له : لا تأكل الطعام الفلاني وتتناول الدواء الفلاني ، شيء قبل الأكل وشيء بعد الأكل ، وشيء في أثناء الأكل ، هذه وصفة متكاملة ، لو قال الإنسان : آخذ الدواء الذي قبل الأكل ولا آخذ الذي بعد الأكل ، من يدري لعل هذا يضر ؛ لأنها وصفة متكاملة ، يكمل بعضها بعضًا . فالإسلام لا يقبل التجزئة ، لا بد أن يؤخذ الإسلام بحذافيره .

فمن هنا أقول : الإسلام الذي ندعو إليه هو إسلام كامل ، نأخذه بلا زيادة عليه ولا انتقاص منه ، لا نأخذ جزءًا وندع الآخر . عيب المسلمين في عصرنا ، أو عيب كثير من المسلمين أنهم يمسكون ببعض الإسلام ، بجزء من الإسلام ، ويظن بعضهم أن هذا هو الإسلام ، ويترك البعض الآخر ، شأن العميان مع الفيل ، القصة التي حكاها الإمام الغزالي لجماعة من العميان الذين وجدوا فيلاً ، فبعضهم أمسك بنابه ، ولما سئل عن الفيل ، قال : الفيل عظم ناعم مدبب . . . . كذا ، والبعض الآخر أمسك ببطنه ، وقال : بل هو جسم كبير مفرطح ، وبعضهم أمسك بخرطومه ،

وقال : بل هو جسم طويل ملتوٍ . والواقع أن الفيل ليس هو هذا فقط ولا ذاك فقط ، بل هو كل هذا ، هناك واحد يمسك بذيل الإسلام ويقول : هذا هو الإسلام ، وآخر يمسك بزلوّمة الإسلام ويقول : هذا هو الإسلام . الإسلام عقائد وعبادات وأخلاق وقيم وشرائع ومعاملات ، وهو كل لا يتجزأ ، هذا ما ينبغي أن نعرفه فهمًا وسلوكًا أيضًا ، نفهمه شاملاً متكاملاً . لا ينبغي أن يكون هناك الازدواج الذي نراه في حياة كثير من المسلمين ، أنه مسلم في المسجد ، فإذا خرج من المسجد أصبح إنسانًا آخر ، مسلم في رمضان فإذا خرج رمضان أصبح إنسانًا آخر . مسلمة تصلي وتصوم في رمضان ، فإذا خرجت إلى الشارع كشفت رأسها ، أو كشفت عن ذراعيها .

ليس هذا هو الإسلام ، نريد الإسلام المتكامل الذي لا يجوز أن ننتقص منه لا فهمًا ولا تطبيقًا . نحن ندعو إلى إسلام شامل متكامل مصفى بلا زيادة عليه ولا انتقاص منه ولا تشويه له .

● **إسلام غير مشوه :**

الضابط الثالث أننا نريد إسلامًا غير مشوه ، هناك للأسف أناس أساءوا فهم الإسلام ، وشوهوا تعاليمه ، فهموه فهمًا خاطئًا ، ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوبًا ، كما قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه .

أخذوا أشياء من الإسلام وفهموها على غير وجهها ، كما فهم بعضهم التوكل مثلاً أنه التواكل . أخذوه على أنه ترك العمل وترك الأسباب ، وما قال أحد : إن التوكل يعني ترك الأسباب ، بل التوكل هو العمل واتخاذ الأسباب ، ثم نكل النتيجة في النهاية إلى رب الأرباب «اعقلها وتوكل» كما جاء في الحديث ، أي تعقل الناقة وتربطها ، وتأخذ حذرك وتتوكل على الله . في الحرب تعد العدة : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(الأنفال: ٦٠). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء: ٧١).

اعمل كل ما تستطيع ، ثم ادخل المعركة وأنت تتوكل على الله سبحانه وتعالى ، كما فعل النبي ﷺ في الهجرة ، أعد العدة ـ وهي الأسباب ـ واتخذ الرواحل التي يركب عليها ، والرفيق الذي سيصحبه (أبا بكر) ، والدليل الذي يعرف الطريق (عبد الله بن أريقط) ، والغار الذي يختفي فيه بعيدًا عن طريق المدينة ؛ ليعمّي على القوم ، ومن يأتي بالطعام في الغار ، رتب الأسباب التي يمكن أن يرتب لها البشر ، تخطيط وإعداد وتنظيم ، وبعد ذلك عندما جاء المشركون وأحاطوا بالغار وقال أبو بكر : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، قال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا ».

هذا هو التوكل الصحيح حينما لا يكون أمامك سبب ، تتعلق بمسبب الأسباب ، ورب الأرباب ، لكن إذا كان لك مُكْنة واستطاعة فافعل ما تستطيع ، ودبر ما تستطيع ، ودع النتيجة لله تعالى .

هناك أناس فهموا الزهد فهمًا خاطئًا ، ظنوا الزهد أن تترك الدنيا ، ألا تعمل للدنيا ، ألا تعمر الأرض ، مع أن علماءنا قالوا : إن عمارة الأرض من المقاصد الشرعية الأساسية ، الإمام الراغب الأصبهاني ، يقول : إن هناك ثلاثة مقاصد أساسية للمكلفين :

المقصد الأول : عبادة الله ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات: ٥٦).

المقصد الثاني : الخلافة في الأرض : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة: ٣٠).

المقصد الثالث : العمارة للأرض : ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ (هود: ٦١) . أي طلب منكم أن تعمروها .

فالزهد لا يعني أن تترك عمارة الأرض ، إنما الزهد أن تعمل للدنيا بحيث لا تشغلك عن الآخرة ، أن تمشي في مناكب الأرض وأنت ترنو إلى السماء ، أن تعيش في هذه الدنيا بقلوب أهل الآخرة ، أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا ، وأن تعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا . . هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم ، وهكذا قالوا .

هذا هو الزهد ، أن تملك الدنيا ولا تملكك ، أن تسخر الدنيا ولا تسخرك ، أن تكون الدنيا في يدك وليست في قلبك ... ولذلك كان هناك من الصحابة الأغنياء وأصحاب الأموال ، فأبو بكر كان من أغنياء الصحابة ، وعثمان كان من أغنياء الصحابة ، وعبد الرحمن بن عوف كان من أغنياء الصحابة ، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة ، وعبد الرحمن بن عوف ترك عقاراته وبساتينه وديارة وأمواله في مكة ، وهاجر في سبيل الله ، وبدأ ـ كما نقول في عصرنا ـ من الصفر ، ولما آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، وعرض عليه سعد بن الربيع أن يتنازل له عن إحدى داريه ؛ ليسكنها ، وعن إحدى زوجتيه ؛ ليطلقها له وليتزوجها ، وعن شطر ماله ـ نصف ماله ـ قابل هذا الإيثار الكريم بتعفف كريم أيضًا وقال له : بارك الله لك في أهلك ، وبارك لك في دارك ، وبارك لك في مالك! إنما أنا امرؤ تاجر فدلنى على السوق . وكانت السوق في أيدى بني قينقاع اليهود ـ على طريقة اليهود من سيطرتهم على الاقتصاد ـ فذهب ينافس بني قينقاع ، فما هي إلا مدة قليلة حتى جاء وعليه رائحة طيبة ، فسأله النبي ﷺ قال : تزوجت ، يا رسول الله . قال له : « هل أولمت؟ » قال : لا . قال : « أولم ولو بشاة ».

عبد الرحمن هذا الذي بدأ من الصفر حينما مات ترك ذهبًا ـ كما يقول ابن سعد وغيره ـ قُطّع بالفئوس ، وصولحت إحدى

نسائه الأربع ـ وهذه نصيبها ربع الثمن ـ على ثمانين ألفًا ، واحد على اثنين وثلاثين من التركة ، فكم كانت تساوي التركة في وقت كانت القوة الشرائية للدينار والدرهم؟

ولكن عبد الرحمن بن عوف هذا حينما يجد الجد يبذل الآلاف والملايين ويجهز جيش العسرة . وهكذا كان عثمان بن عفان ، فالدنيا كانت في أيديهم ، ولكنها لم تدخل إلى شغاف قلوبهم . استخدموا الدنيا ولم تستخدمهم ، المهم ألا تتخذ الدنيا لك ربًا فتتخذك لها عبدًا ، هذا هو الزهد .

هناك أناس شوهوا تعاليم الإسلام ، والصوفية المنحرفة التي أشاعت في الناس الدروشة جعلت الواحد ينقطع عن الحياة أو يمشي في الفلاة بغير زاد أو يعيش في رباط أو خانقاه بلا عمل ، وهو قادر على العمل ، وهذا ما لم يشرعه الإسلام .

وحينما رأى سيدنا عمر بعض الناس في المسجد بعد صلاة الجمعة ، سألهم : من أنتم ؟ قالوا : متوكلون . فقال : سيدنا عمر بل أنتم متآكلون . لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ، إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض ، أما سمعتم قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (الجمعة: ١٠)؟ وعلاهم بدرته ، وأخرجهم من المسجد .

هذا هو الإسلام ، دين عمل وإنتاج . . .

المسلمون ظلموا الإسلام حينما أرادوا أن يأخذوه من تصرفات بعض الصوفية ، لا أقول كل الصوفية ، هناك صوفية دعوا إلى العمل ، وكان بعض الصوفية يقول : ليجعل الرجل الصوفي مسبحته منشاره أو آلة الحدادة ، أي يقول وهو يعمل . . سبحان الله ! فهناك أناس انحرفوا بالإسلام عن صراطه المستقيم ، وشوهوا تعاليم الإسلام ، ونحن نريد إسلامًا بلا تشويه .

هناك أناس في عصرنا يريدون أن يشوهوا أجمل ما في الإسلام ، تصوروا أن الزكاة الركن الثالث في الإسلام بعد الشهادتين وبعد الصلاة ، ثالثة الدعائم الإسلامية في القرآن والسنة ، والتي قرنها القرآن مع الصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا ، هذه الزكاة يريد أن يفهمها على هواه ، ويقول : تريدون أن نقيم العدالة الاجتماعية والتكافل بين الأفراد والفئات والطبقات على أساس الصدقات والإحسان ، يريد أن يتصور الزكاة لونًا من الصدقة التطوعية أو الإحسان الاختياري الفردي ، وما هكذا الزكاة ، وبعضهم يقول : أي اشتراكية تريدون؟ أتريدون أن تدعونا إلى اشتراكية الصدقات؟!

هذه الصدقات التي زعموها ليست كالصدقات في الأديان الأخرى ، الزكاة صدقة فعلاً ، والقرآن عبر عنها بصدقة : ﴿ خُذْ مِنْ

﴿ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة:١٠٣) ، ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ (التوبة:٦٠) ؛ لأنها تصدق إيمان صاحبها ، وهى برهان على صدق الإيمان ، كما جاء في «صحيح مسلم» : «الصدقة برهان» يعني أنها تصدقه وتدلل عليه .

هذه الصدقة أو هذه الزكاة ركن يجب أن يدفع طوعًا وإلا أخذ كرهًا ، وقوتل صاحبه بحد السيف . والدولة الإسلامية لها سلطة أخذ هذه الفريضة بالقوة ؛ لأنها في الأصل كما شرعها الإسلام ليست فريضة فردية ، وإنما الأصل فيها أنها فريضة اجتماعية ، وتنظيم تشرف عليه الدولة الإسلامية ، ولذلك القرآن يقول : ﴿ خُذْ ﴾ فهي شيء يؤخذ «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» كما جاء في حديث إرسال معاذ إلى اليمن ؛ ولذلك نجد القرآن لم يكل هذا الأمر ولم يدعه فوضى ، ولكن جعل هناك جهازًا سماه القرآن ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ (التوبة:٦٠) ، وهو الجهاز الإداري والمالي لجباية الزكاة وتوزيع الزكاة ، وهؤلاء العاملون عليها يأخذون نصيبهم وأجرتهم من ميزانية الزكاة حتى لا تتعطل ، أي تنظيم أعظم من هذا التنظيم؟

- **هذه الفريضة عليها حراس ثلاثة :**

حارس من داخل الضمير (حارس الإيمان): أي الوازع الديني ، فخشية الله ومراقبته قبل كل شيء ، فهذا حارس أول .

حارس اجتماعي : وهو الرأي العام الإسلامي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وهناك حارس قانوني : تقوم عليه الدولة الإسلامية التي يعطيها الإسلام حق الأخذ بالكره ، وحق المقاتلة إذا كانت هناك فئة ذات شوكة تمردت وامتنعت عن أداء الزكاة .

وكلنا يعلم أن الدولة الإسلامية هي أول دولة في التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء ، أول دولة تجيش الجيوش ، فأبو بكر جهز أحد عشر لواء ؛ ليقاتل المرتدين ومانعي الزكاة ، ولما اشتبه على عمر في أول الأمر وقال : كيف نقاتلهم وقد قالوا : لا إله إلا الله؟ ومن قالها عصم دمه وماله إلا بحقها؟ قال : والله لأقاتلكن من فرق بين الصلاة والزكاة ـ فإن الزكاة حق المال ، إلا بحقها ، وهذا هو حق المال ـ والله لو منعونى عَناقًا ـ عنزة صغيرة ـ وفى رواية : عقالاً ـ حبل يربط به البعير ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه . قاتل أبو بكر مانعي الزكاة ، فهل الفقراء أقاموا مسيرة أو مظاهرة يطالبون بحقوقهم في الإسلام الذي فرض لهم هذا دون أن يشعروا أن لهم حقوقًا عند الأغنياء ، إنما الإسلام جعل هذا حقًا ، وهو حق معلوم ، معلوم كم هو ، ولمن هو ، وعلى من ، وكم يدفع؟ معلوم النصاب والمقدار والزمن ، مفصل تفصيلاً في الفقه الإسلامي ، للأسف بعض الناس حتى هذه الفريضة العظيمة شوهوها ، فنحن نريد الإسلام بلا تشويه .

• المحافظة على النسب والتوازن بين الأعمال :

ثم من ناحية رابعة ، أيها الإخوة والأخوات ، نريد الإسلام بلا إخلال بالنسب التي وضعها للتكاليف .

هناك لكل عمل في الإسلام مقدار ومرتبة ، ينبغي أن يوضع كل عمل في مرتبته الشرعية ، لانخل بالنّسب بين الأعمال ، فلا نؤخر ما حقه التقديم ، ولانقدم ما حقه التأخير . هناك أشياء ، تعتبر أسسًا ، وأشياء تعتبر أقل من أسس ، هناك العقائد في المقدمة ، ثم تأتي بعد ذلك الأركان ، الأركان الخمسة ، ثم تأتي بعد ذلك الفرائض التي هي دون الأركان ، وهناك أشياء عند بعض الفقهاء يرونها دون الفرض وفوق السنة ، التي اسمها الواجبات ، وهناك السنن المؤكدة ، وهناك المستحبات غير المؤكدة ، وهناك الأولويات ، كلها مراتب .

وفي الجانب الآخر ـ جانب المنهيات ـ هناك الإلحاد والكفر ، والشرك الأكبر ، وهناك الشرك الأصغر ، وهناك الكبائر ، حتى الكبائر فيها أكبر الكبائر ـ كما جاء في الحديث ـ ثم هناك صغائر المحرمات المقطوع بحرمتها ثم دونها المشتبهات ؛ الأمور المختلف عليها ، ويشتبه الأمر في حلها وحرمتها ، وهناك المكروهات ، ما كان مكروهًا تحريمًا وما كان مكروهًا تنزيهًا ، وهناك ما يسمى خلاف الأولى، يبقى أن نعرف سلم هذه المراتب،

obeikandl.com

ولا نذيب الفوارق بينها ، لا ينبغي أن نقيم معركة من أجل أمر مستحب ، بعض الناس يعمل معركة على أمر مختلف فيه ، العلماء قالوا : لا إنكار في الأمور الاجتهادية ، لم هذا؟ ينبغي أن يكون تركيزنا على الأمور الأساسية أولاً ، وبخاصة في هذه المرحلة ، ثم يرتقي الإنسان بعد ذلك من مرتبة إلى مرتبة كما يرتقي الطالب من مرحلة ابتدائية إلى إعدادية إلى ثانوية إلى الجامعة إلى الماجستير إلى الدكتوراه .

كذلك الإنسان في الدين يرتقي ، هناك إنسان أنا أكتفي منه بالفرائض إذا أدى الفرائض واجتنب الكبائر ، أقول : أهلاً وسهلاً ، كما رأينا النبيّ ﷺ حينما سأله أحد الأعراب : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يجب عليَّ؟ قال : « عليك خمس صلوات في اليوم والليلة». قال : هل عليَّ غيرها؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع » . ثم ماذا؟ قال : « عليك صوم رمضان » . قال هل عليَّ غيره؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع ». قال : هل عليَّ غيره؟ قال : « عليك الزكاة ». قال هل عليَّ غيرها؟ قال : « لا » ، إلا أن تطوع » . وذكر له الفرائض . وبعد أن سمع الرجل هذا قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . فقال النبيّ ﷺ : « أفلح إن صدق » أو « أفلح وأبيه إن صدق » أو « دخل الجنة إن صدق » . وفي مقام آخر قال : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا ».

فقد اكتفى من هذا الأعرابى بأن يقف عند الفرائض لا يزيد ولا ينقص ، طبعًا لا يقبل هذا من مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار . أيضًا ينبغي أن نراعي أن كل عمل في الإسلام ، أيها الإخوة ، له سعر معين ، له تسعيرة ، فينبغي ألا نتجاوز به سعره وقيمته ، فالخلط بين الأشياء أخر الدعوة الإسلامية كثيرًا ، يجب أن نركز على المسائل الأساسية والقضايا المصيرية ولا نشتغل بالصغير عن الكبير وبالجزئي عن الكلي . هذا ما ينبغي أن نقوله في مقامنا هذا ، لا ينبغي أن نخل بالنسب .

● **إخلال المسلمين بهذه النسب :**

المسلمون في وقت من الأوقات أخلوا بهذه الأشياء ، أحيانًا اهتموا بالنوافل أكثر من اهتمامهم بالفرائض ، فنجد واحدًا ، مثلاً ، يحج الحجة السابعة ، أو يعتمر في رمضان كل سنة ، بينما عليه ديون لعباد الله لا يقضي هذه الديون أو يظلم من يتعامل معه ، عنده موظفون أو مستأجرون يأكل حقوقهم . يا أخي بدلاً من أن تذهب للحج للمرة السابعة أو العشرين ، لماذا لا تعطي هؤلاء الناس حقوقهم ، أعطِ لهؤلاء الناس حقوقهم ، سدد ما عليك من ديون ، جاء في الحديث : « يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين » ، فهل تظن أن عمرتك أو حجتك تسقط عنك ديون العباد؟ أمور

obeikandl.com

مهمة ، يعنى أحيانًا ، وفى الواقع ، يصاب كثير من المسلمين بسوء الفهم في هذه الناحية . أنا نصحت أحد المسلمين ـ من الإخوة المصريين ـ رأيته يحج كل عام ، ومنذ عرفته وأنا شاب صغير ، أراه يحج ، يعني يخيل لي أنه حج حوالي الأربعين مرة ، قلت له : ما رأيك يا حاج فلان ، أنت تحج ويحج معك مجموعة ، فأنتم حوالي عشرة ، تذهبون إلى الحج كل عام ، تصرفون يعنى ما لا يقل كل واحد منكم عن عشرة آلاف جنيه ، العشرة في عشرة بمائة ألف ، لو أن ما تصرفونه في هذا الحج تعطونه للجياع في إفريقيا أو لإقامة بعض المشروعات المعطلة أو لتعليم المسلمين الجاهلين أو لرعاية اليتامى والمشردين أو . . . أو . . . وما أكثر ما يحتاج المسلمون من مال في بقاع شتى . قال : ولكن يا أخي كلما جاء الموسم أحس بشوق! أصبحت المسألة إذن متعة ، صحيح إنها متعة روحية ، ولكن نفتش عن الأولويات ، وما الذي ينبغي عمله ؟ أأترك المسلمين يموتون جوعًا ، أو يتعرضون لهجمات التنصير ، أو هجمات الشيوعية ، وأستطيع أن أبذل لهم وأعطيهم ، وأذهب إلى الحج لأؤدي الحجة الأربعين أو أعتمر العمرة السبعين؟! ينبغي أن نفاضل بين الأمور بعضها وبعض .

هذا هو الفهم الذي نريده للإسلام ، نحن ندعو إلى الإسلام بهذه الضوابط ، بلا زيادة عليه ، ولا انتقاص منه ، ولا تشويه لتعاليمه ولا إخلال بنسبه .

- **شمولية الإسلام وتكامله :**

هذا الإسلام إسلام شامل ، متكامل متوازن وهو الذي ندعو إليه ، هذا الإسلام لا يترك ناحية من النواحي ، إلا ودخل فيها بالتوجيه والتشريع .

- **شعب أربع أساسية في فهم الإسلام :**

هناك شعب أربع أحب أن أنبه عليها هنا :

شعبة تتجه إلى النفس .

وشعبة تتجه إلى المجتمع .

وشعبة تتجه إلى الحكم .

وشعبة تتجه إلى الكون .

شعبة تتجه إلى النفس فتصلحها بالإيمان والتزكية ـ البعد الإيماني ـ فأساس الحياة هو الإيمان ، ولن نستطيع أن نصلح مجتمعاتنا إلا إذا أصلحنا الأنفس . فصلاح المجتمعات بصلاح أفرادها ، وصلاح الأفراد بصلاح أنفسها ، لا يمكن أن يصلح الناس بغير هذا الأمر ، الماركسيون يقولون : غيّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج يتغير التاريخ . أما الإسلام فيقول : غيّر نفسك

obeikandl.com

يتغير التاريخ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١) . سنّة من سنن الله في المجتمع والحياة .

فكيف نغير ما بالأنفس؟ نغير ما بالأنفس عن طريق العقيدة ، بأن نصب في عروق الإنسان الإيمان الصحيح والتوحيد الصحيح ، بحيث لا يرضى بغير الله ربًا ، ولا يتخذ غير الله وليًا ، ولا يبتغي غير الله حكمًا . هذا التوحيد الذي يسقط الأرباب الزائفة كلها ، ولا يعفر جبهته إلا لله تعالى ساجدًا ، ولا يحني ظهره إلا لله تعالى راكعًا ، ولا يرجو إلا الله ولا يخاف إلا الله . هذا هو الذي يصنع الإنسان البطل المنتج في المسلم ، المنتصر في الحرب . الإنسان إنما تصنعه العقيدة ، يصنعه الإيمان .

ماذا فعل النبيّ ﷺ بالعرب؟ العرب الذين فسدت عقولهم فعبدوا الحجارة ، وفسدت قلوبهم فوأدوا البنات وقتلوا أولادهم من إملاق أو خشية إملاق ، ماذا بقي من الإنسان إذا فسد عقله وفسد قلبه؟ النبيّ ﷺ بنى هذا الإنسان من جديد بعقيدة التوحيد ، صنع من عرب الجاهلية عرب الإسلام ، من عرب الخمر والميسر والزنا والربا والفحشاء والمنكر والبغي ، صنع منهم عرب البطولات والإيمان والأخلاق والفضائل .

نظر أحد قادة الفرس إلى المسلمين في عهد عمر فوجدهم يتوضئون ويتطهرون ـ وكان العرب لا يقيمون للطهارة وزنًا ـ ثم

يقفون صفوفًا منظمة متراصين خلف إمام واحد كأن على رءوسهم الطير ، صفوفًا كصفوف الملائكة متلاصقين ، فنظر إليهم هذا القائد الفارسي وقال : أكل كبدي عمر ، لقد علمهم مكارم الأخلاق . والحقيقة أن الذي علمهم وعلم عمر معهم هو محمد رسول الله ﷺ .

نحن نشكو الآن من التخلف ، نحن وراء الأمم ، يسموننا العالم الثالث ، أو العالم النامي ـ والبلاد النامية كلمة ملطفة للبلاد المتخلفة ـ وبيننا وبين الآخرين مسافات ومسافات ، وهذه المسافات لا تضيق الآن بل تتسع ، كيف نستطيع أن نعوض ما فاتنا وأن نلحق بالقوم؟ وأن نسبقهم؟ هذا لا يصنعه إلا إيمان عميق يفجر الطاقات المكنونة ، وينشئ الإنسان خلقًا آخر ، إنه الإيمان الذي صنع العرب من قبل ، الإيمان الذي غير سحرة فرعون ، فنقلهم من مجرد حواة يلعبون بالحبال والعصى إلى أناس يتحدون فرعون المتأله الجبار ويقولون له في إيمان : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾(طه:٧٢)، الإيمان هو صانع العجائب هو مصنع الرجال ومعمل الأبطال ، وكذلك البعد الإيمانى ، الإيمان الصحيح وليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، كما جاء عن الحسن البصري وغيره ، إيمان كماعرفه السلف ، تصديق بالجنان وقول

باللسان وعمل بالجوارح والأركان ، هذا الإيمان الذي يتجسد في الأخلاق ، وفي أعمال صالحة :« الإيمان بضع وسبعون شعبة ... »، الإيمان كما ذكره القرآن : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون:١)، الإيمان أخلاق ، البعد الإيماني الأخلاقي هذا أمر نؤكد عليه في الإسلام الذي ندعو إليه ، هذا الجانب التربوي المهم ؛ تربية الإنسان المؤمن ، الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة ، هذه هي الشعبة الأولى التي نركز عليها ، في نظرتنا إلى الإسلام الشامل .

● **الشعبة الثانية** : وهي التي تتجه إلى المجتمع ؛ لتقيم فيه العدالة والتكامل بين الناس بعضهم وبعض . فالإسلام دين اجتماعي ، ولا يتصور الإنسان فرداً في فلاة يعيش وحده ، فهو مدني بطبعه ـ كما قالوا ـ أو اجتماعي ـ حيوان اجتماعي ـ كما يقول المحدثون ، أو مدني بطبعه كما يقول الأقدمون . الإسلام جاء يعالج المشكلات الاجتماعية ولا ينظر إلى الإنسان باعتباره فرداً منعزلاً ، حتى المسلم حينما يقف في الصلاة ، ولو كان يقف في قعر بيته وحده يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) . لماذا يستشعر الجماعة في ضميره : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦). والقرآن حين يخاطب الجماعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة:١٨٣) فلماذا يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولم يقل : يأيها المؤمن ؛ لأنه يعتبر

الجماعة متضامنة في تنفيذ أحكام الله ، وفى قوله تعالى : ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ** ﴾ (النور:٢) أو ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ** ﴾ (المائدة:٣٨) . هل كل المسلمون يقطعون السارق أو يجلدون الزاني ، ولكن الخطاب للأمة ، لماذا؟ لأن الأمة متضامنة بحيث لو قصر حكامها والمسئولون عنها في تنفيذ أحكام الله فإن على الأمة مسئولية ، الأمة تشترك في المسئولية ، كل على قدر استطاعته عليها أن تدعو وتأمر وتنهى ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ** ﴾ (التوبة:٧١) . هذا ما جاء به الإسلام ، الإسلام جاء بهذا المعنى الاجتماعى ، فاهتم بالمجتمع وبخاصة الفئات الضعيفة ، الفئات المضيعة في المجتمعات قبل الإسلام ، الإسلام اهتم بها وفرض لها حقوقًا ـ كما رأينا في الزكاة ـ الحديث يقول :« هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم» هذا الرزق والنصر هنا يأتى بدعائهم وإخلاصهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشير الحديث إلى جانب هام ، فهذه الفئات الضعيفة ـ الفلاحون والعمال والزراع والموظفون وصغار الحرفيين ـ هؤلاء الذين ربما نظر إليهم بازدراء ، هؤلاء هم عدة الإنتاج في السلم وعدة النصر في الحرب ، هم الذين يعملون على زيادة الإنتاج ، هم القوة المنتجة ، وهم القوة المحاربة أيضًا ، فهم الجنود في الجيوش « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم» إشارة إلى أهمية هؤلاء . ولذلك اهتم الإسلام بهؤلاء قبل أن يعرف العالم

الاشتراكية والشيوعية والماركسية وهذه المذاهب التي جاءت من هنا وهناك ، اهتم الإسلام بهذه الفئات الضعيفة ودافع عنها ، هذا البعد الاجتماعي ، البعد الإنساني ، البعد الاقتصادي ، اهتم به الإسلام اهتمامًا بليغًا .

● هناك بعد آخر أو شعبة ثالثة : ما يتعلق بالجانب السياسي ، فالإسلام أقام نظامه السياسي على العدل والشورى ، إن النظام يجب أن يقام على العدل لا على الظلم ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الله يبقي الدولة العادلة ولو كانت كافرة ، ويخذل الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة . يقصد بالمسلمة : التي يكون أصحابها مسلمين ، يتسمون بأسماء الإسلام ، ولكنهم لا يعطون الحقوق ، ويظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق .

اهتم الإسلام بهذه الناحية ، حتى جاء في الحديث : « ليوم من وال عادل خير من عبادة ستين سنة » ، فالإمام العادل ـ كما قال الحسن البصري ـ هو الذي يقوم بين الله وعباده ، يسمع من الله ويُسمِعهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، هو أحد السبعة ، أو أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، هو الذي أقام العدل بين الناس ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء:٥٨).

والشورى أيضًا أساس من أسس الحكم في الإسلام ، ألا يحكم الناس واحدٌ رغم أنوفهم ، ويقودهم إلى ما يكرهون ، مهما يكن هذا الشخص ، بعض الناس قالوا مرة على لسان الشيخ/ جمال الدين الأفغاني إنه لا ينهض بالشرق إلا مستبد عادل ، وهذا غير صحيح عنه ، ولا يمكن أن يجتمع العدل والاستبداد ، فالعادل لا يكون مستبدًا ، والمستبد لا يكون عادلاً ، وإذا كان الإسلام طلب الشورى في أبسط الأمور ، كشأن الزوجة مع زوجها ، أو المرأة مع مطلقها ، إذا كان هناك ولد بينهم : ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ﴾ (البقرة:٢٣٣) تشاور في مثل هذا الأمر ، فكيف بأمر الأمة؟ وإذا كان الإسلام لم يسمح بأن يجبر الأب ابنته أن تتزوج بغير رضاها وهى كارهة ، فكيف يسمح بأن تحكم الأمة بغير رضاها؟

وجاء في الأحاديث ذم الإمام في الصلاة : الذي يؤم قومًا وهم له كارهون ، فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى فكيف في الإمامة الكبرى؟

الشورى أساس من الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم .

جاء في القرآن المكي في سورة سميت بهذا الاسم قوله تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ (الشورى:٣٨) . وفى القرآن المدني : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ** ﴾ (آل عمران:١٥٩). إنما أكد الإسلام

ذلك حتى لا يستبد بالمسلمين مستبد ، يقهرهم على الباطل ، فالأمر شورى والخلافة بيعة ، لسنا في حاجة أن نستورد أفكارًا من الغرب أو من الشرق ، عندنا والحمد لله ما يكفينا لإقامة العدل الإسلامي والحكم الإسلامي الصالح لو وقفنا عند حدود الإسلام .

ذكر لنا القرآن الطغاة والجبارين في الأرض ، وهو لم يذكر هذا عبثًا ، فقد ذكر لنا فرعون وهامان وجنودهما ، لماذا؟ ذكر لنا هذا حتى لا نقبل الجبروت ولا نرضى بتسلط الجلادين الذين يسوقون الشعوب كالغنم وراءهم ، الإسلام يرفض هذا ، حتى إن القرآن يدين الجنود مع قادتهم ﴿ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ (القصص:٨) ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ (القصص:٤٠) ، الجنود لماذا؟ لأنهم هم أيضًا عدة الظالم ، ولذلك تجد الإسلام أيضًا لعن أعوان الظالم وجعلهم كلاب جهنم ، ولما سجن الإمام أحمد بن حنبل ـ إمام أهل السنة ـ في الفتنة المشهورة في خلق القرآن ، سجن ظلمًا وأوذي وعذب ، فجاءه السجان وسأله عن الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة : ما رأيك فيها؟ هل هى أحاديث صحيحة؟ قال : نعم هى أحاديث صحيحة . قال : فما قولك في ، هل أنا من أعوان الظلمة؟ قال : لا ، إنما أعوان الظلمة من يطهو لك طعامك ، ومن يغسل لك ثوبك ، ومن . . . أما أنت فمن الظلمة أنفسهم!!

جاء الإسلام يريد أن تقوم الحياة على العدل لا على الجبروت في الأرض .

● وهناك من ناحية أخرى الشعبة الأخيرة ، التي تتجه إلى الكون ؛ لتعمر الأرض ؛ لتقيم حضارة . فالإسلام جاء ؛ ليقيم حضارة متميزة تصل الأرض بالسماء ، وتربط الدنيا بالآخرة ، والعقل بالقلب ، وتوفق بين مصالح الفرد ومصالح المجموع ، حضارة تقيم علمًا ، تقيم إبداعًا ماديًّا بجانب السمو الروحي والرقي الأخلاقي ، لا كالحضارات التي تصلح الأرض وتفسد الإنسان ، وتعمر الدنيا وتخرب الآخرة ، بل تقيم التوازن والتكامل في الحياة .

جاء الإسلام ؛ ليقيم حضارة ، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالجانب العلمي ، والجانب الاقتصادي ، والجانب العسكري ، والجانب الصحي ، وكل جوانب الحياة التي تقيم حياة طيبة ، بعض الناس يظن أنه حين يقام الإسلام وتقام حياة إسلامية ، فإن هذه الحياة ليس فيها مجال لترويح أو ترفيه ، وهذا خطأ ، فلا بد من ترويح وترفيه ، ولكن أي نوع من الترويح ، وأي نوع من الترفيه؟ ليس الترويح الذي يجرئ الناس على الحرام ، ويشيع الفاحشة ، ويدغدغ الغرائز ، ويثير الشباب ، ويهيج الشهوات ، ليس هذا هو الترفيه ، وليس هذا هو الترويح . إنما هو الترويح

المعقول والمقبول ؛ فإن القلوب إذا أكرهت عميت ، وإن القلوب لتملّ كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة ، كما قال علي رضي الله عنه .

جاء الإسلام بالحياة الطيبة ، طيبات المأكل والمشرب والملبس والمسكن والزينة والتجمل واللهو والترفيه ، كل هذا جاء به الإسلام .

هذه ، أيها الإخوة ، الملامح العامة للإسلام الذي ندعو إليه . لسنا ندعو الناس إلى متاهة كما يزعم العلمانيون ، يقولون تدعوننا إلى شيء لا نعرف رأسه من رجليه .

نحن ندعو إلى إسلام واضح الحدود ، بين الأصول ، سامق الذرى ، ثابت الجذور ، هذا هو الإسلام الذي ندعو إليه ، وهذا الإسلام هو وحده القادر على أن ينقذ هذه الأمة مما تتخبط فيه من أزمات اقتصادية ، وأزمات عسكرية ، وأزمات سياسية ، وأزمات اجتماعية ، وأزمات أخلاقية ، كل ما نشكو منه من التمزق والفساد والخلل في شتى النواحي ، لا ينقذنا منه إلا الإسلام ، إلا الرجعة إلى هذا الدين ، بغير هذا سنظل نجرب تجارب ، وندور كما يدور الحمار في الرحى أو الثور في الساقية معصوب العينين ، يسير ويسير ، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتدأ منه .

obeikandl.com

لا نجاة لنا إلا بالإسلام ، ولا مخرج لنا مما نحن فيه إلا بالإسلام ، الإسلام الصحيح ، الإسلام المتكامل المتوازن ، إسلام القرآن والسنة ، إسلام الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، الإسلام بلا زيادة ولا انتقاص منه ، ولا تشويه لتعاليمه ، ولا إخلال بالنسب بينها .

الإسلام الذي يتجه إلى النفس فيصلحها بالإيمان والتزكية ، ويتجه إلى المجتمع فيصلحه بالأخلاق والتكامل ، ويتجه إلى الحكم فيصلحه بالعدل والشورى ، ويتجه إلى الكون فيصلحه بالعمارة وإقامة الحضارة ، هذا هو الإسلام الذي ندعو إليه ، والذي نعتقد أننا لا ننال رضا الله في الآخرة ولن ننال السعادة في الدنيا بغير التمسك به ، وسنظل نتمسك به وندعو إليه ما حيينا ، نعيش له ، ونموت عليه ، مهما أصابنا في سبيله ، ونعتقد أيها الإخوة والأخوات ، أن الغد لهذا الإسلام ، وإن المستقبل لهذا الإسلام ، وأن كل الدعوات الدخيلة المستوردة من الشرق أو المستوردة من الغرب سترحل خائبة مدحورة ، وسينتصر دين الله ، وسينجز الله وعده ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ (النور:٥٥).

كل ما نريده أن يكون هناك الذين آمنوا وعملوا الصالحات الموعودون في هذه الآية أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا ، وينظروا بعد ذلك وينتظروا البشائر وينتظروا بعد ذلك نصر الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لماذا اخترت هذا العنوان للمحاضرة؟	٣
الإسلام الذي يريده العلمانيون	٤
إسلامنا هو الإسلام الأول	٨
إسلام بلا زيادات ولا شوائب	١٠
إسلام لا ينتقص منه	١١
الإسلام كل لا يتجزأ	١٤
إسلام غير مشوه	١٦
هذه الفريضة عليها حراس ثلاثة	٢٢
المحافظة على النسب والتوازن بين الأعمال	٢٤
إخلال المسلمين بهذه النسب	٢٦
شمولية الإسلام وتكامله	٢٨
شعب أربع أساسية في فهم الإسلام	٢٨
الفهرس	٤٠

obeikandl.com